

أثر عوارف المعارف على مكتوبات المجددية في شبه القارة

## The Impact of 'Awarif-Al-MA 'Arif' on Maktoobat of Mujaddadia

**Dr. Muhammad Zia Ullah**

Assistant Professor, Islamic Studies, NCBA & E, Lahore.

[zianoorani@gmail.com](mailto:zianoorani@gmail.com)

**Mufti Muhammad Qaisar Shahzad**

Assistant Professor of Islamic Studies, NCBA&E, Lahore.

[qaisarshahzad@ncbae.edu.pk](mailto:qaisarshahzad@ncbae.edu.pk)

**Shah Nawaz**

M.Phil. Islamic Studies, NCBA & E, Lahore.

[shahnawaz5119586@gmail.com](mailto:shahnawaz5119586@gmail.com)

### Abstract:

The study delves into the profound impact of the book "Awārif al-Ma'ārif" on Arab scholars and philosophers, especially within the realm of Sufism, highlighting its pivotal role in shaping Islamic thought. Arab scholars engaged deeply with "Awārif al-Ma'ārif," producing extensive commentaries that underscored its significance across various intellectual currents and historical periods .

Moreover, in the Indian subcontinent, Sufi scholars embraced "Awārif al-Ma'ārif" as a cornerstone of their spiritual teachings and practices, integrating its teachings into the fabric of their Sufi orders. Figures like Khwaja Mujaddad alaf sani referenced and expanded upon its themes, emphasizing its enduring influence on their spiritual philosophies and practical applications.

The writings of Khwaja Muḥammad Ma'sūm clearly reflect the deep impact of "Awārif al-Ma'ārif" on his intellectual development and spiritual outlook. His works often cite and elaborate upon the teachings of the book, highlighting its role as a primary source of inspiration and guidance. Overall, this study underscores how spiritual texts like "Awārif al-Ma'ārif" continue to shape the theological and philosophical landscapes of scholars and thinkers across centuries, providing profound insights into the human connection with the divine and the complexities of spiritual faith.

**Keywords:** Awārif al-Ma'ārif, Sufism, Islamic thought, Arab scholars, Spiritual teachings, Khwaja Ma'sūm, Spiritual influence, Philosophical landscapes

إنَّ علماء العرب قد اهتمُّوا بشروح وتعليقات حول كتاب "عوارف المعارف"، واستفادوا منه، وذكروا عنه في كتبهم عبر العصور. لم يتأخروا ولم يتردّدوا علماء الصوفية في شبه القارة الهندية عن استخدام هذا الكتاب ليكون ختم التصديق والتثبيت لقبوله بشكل عام. فإذا نظرنا إلى تطور السلاسل الصوفية والطرق في شبه القارة، نجد أن كتاب "عوارف المعارف" حصل على مكانة مرموقة في جميع هذه السلاسل، مما لم يحدث مع أي كتاب صوفي عربي آخر. هذا الكتاب كان له تأثير واضح في سلسلة السهرواردية وكذلك في سلسلات أخرى مثل الجشتية والنقشبندية والقادرية.

قام العلماء والصوفية في كل سلسلة بدراسة هذا الكتاب واعتبروه مصدرًا ومنبعًا لهم في تعاليمهم. إن الجهود التي بذلها علماء سلسلة الجشتية في نشر وتعميم محتوى هذا الكتاب، بما في ذلك شروحه وتراجمه، لم تجد نظيرًا في السلسلة السهرواردية. تلك الجهود تعود إلى عدة أسباب، منها الذوق العلمي لعلماء وصوفية السلسلة الجشتية والعلاقات القائمة بين مؤسسي هاتين السلسلتين. كما أن هذا الكتاب لم يفقد مكانته وأهميته بين العلماء والأدباء والصوفية حتى بعد سيطرة الإنجليز على شبه القارة.

في النهاية، يظل هذا الكتاب مقبولًا بين الأدباء والصوفية والعلماء، حتى عند العوام في ذلك العصر. بالإضافة إلى ذلك، عوارف المعارف أثرت بشكل كبير على الأدب الصوفي في العالم العربي، حيث أصبحت مرجعية هامة وأسهمت في تطور التفكير والتصوف في شبه القارة الهندية.

وقد تمكن الصوفيون الأوائل في الهند من إحداث نشاط أدبي مدهش، فبالرغم من تعبيرهم عن نفورهم من الكتابة وعلم العقلين أن العديد منهم كتبوا بشغف حينما تعلق الأمر بنقل علومهم وفلسفتهم في كتب ومقالات. كان هناك صنف أدبي شهير في الهند يُعرف بـ "الملفوظات"، وهو مجموعة من أقوال الأئمة الصوفيين. بعد هذا الصنف، ظهر صنف آخر يُعرف بـ "المكتوبات"، وهو مجموعة من رسائل الصوفيين إلى تلامذتهم. في هذا السياق، نذكر بشكل خاص تأثير كتاب "عوارف المعارف"، والذي كان له أثر كبير في السلسلة النقشبندية. يُذكر هذا الكتاب بالأهمية التي له في تطوير التفكير والتصوف في الهند، وكيف أصبح مرجعية هامة للعلماء والصوفيين على حدٍ سواء.

وباختصار، قام صوفيو الهندية الأوائل بتطوير نشاط أدبي غني، وعلى الرغم من تجنبهم للكتابة، إلا أنهم تركوا وراءهم إرثًا أدبيًا ثريًا تعكس تعاليمهم وفلسفتهم الصوفية. تأثير كتاب "عوارف المعارف" في السلسلة النقشبندية يُظهر أهميته ودوره في تشكيل الفكر والتصوف في هذا السياق الثقافي.

فإذا درسنا الأدب الصوفي مكتوبًا في السلسلة النقشبندية وخاصة في عائلة المجددية، فوجدنا تأثير "عوارف المعارف" على الأدباء المجددية و مكتوباتهم ، وتتجلى لنا قيمة وأهمية لهذا الكتاب، ومكانته العالية في الأوساط العلمية والدعوية لما كان يذكر في مكتوباتهم حتى كانوا يحثون مريديهم ومتعلقيهم إلى مطالعة هذا الكتاب.

إذا نظرنا إلى الأدب الصوفي المكتوب، نجد تأثير كتاب "عوارف المعارف" على الأدباء الصوفيين بارزاً وواضحاً، وخاصة في عائلة المجددية. تتجلى لنا قيمة وأهمية هذا الكتاب، ومكانته العالية في الأوساط العلمية والدعوية، من خلال ما كان يذكره هؤلاء الأدباء في مكتوباتهم، حتى أنهم كانوا يحثون مرديهم وطلابهم على مطالعة هذا الكتاب والاستفادة منه.

لدراسة هذا التأثير والقيمة، قمنا بتحليل شامل يتضمن المباحث التالية:

### المبحث الأول: حياة الشيخ السهروردي

يعتبر الشيخ شهاب الدين السهروردي أحد أبرز الصوفيين الذين اهتموا بإصلاح الناس من خلال التعليم والموعظة، وكان يتميز بحبه وأخوته، خاصة بين العلماء والصوفيين. ولد السهروردي في مدينة سهرورد، واشتهر بعلمه الواسع ومؤلفاته العديدة التي تركت أثراً كبيراً في التصوف الإسلامي.

#### اسمه وكنيته ولقبه:

هو عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمويه بن سعيد بن الحسين بن القاسم بن نصر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة رضي الله عنه<sup>(1)</sup>.

وذكر العلماء في كنية الشيخ السهروردي عدة أقوال:

أبو حفص: وهو المشهور عن أكثر العلماء كما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وابن العماد في شذرات الذهب، والذهبي في تاريخ الإسلام، وعمر كحالة في معجم المؤلفين<sup>(2)</sup>. أبو عبد الله: ذكره ابن العماد في شذرات الذهب، والذهبي في تاريخ الإسلام<sup>(3)</sup>. أبو نصر: ذكره السبكي في طبقات الشافعية، وياقوت الحموي في معجم البلدان، والذهبي في تاريخ الإسلام<sup>(4)</sup>. أبو القاسم: ذكره السبكي في طبقات الشافعية<sup>(5)</sup>.

و هكذا ذكر المحققين في كنيته عدة أقوال فمنها:

● شهاب الدين: قد ذكر العلماء في ألقابه "شهاب الدين"<sup>(6)</sup> لأنه كان في علمه وعمله شهاباً أضاء ظلمات الجهل والبدعة ما بين الحقيقة والشريعة وقد بين مسائل التصوف في صورة إسلامية واضحة.

<sup>1</sup>- شذرات الذهب لابن العماد، 268/7، دار ابن كثير، بيروت، 1406هـ، 1986م، ت: محمود الأرنؤوط؛ لطائف اشرفي، لأشرف جهانگیر سمناني، سهيل پريس، كراتشي باكستان، 596/1.

<sup>2</sup>- البداية والنهاية لابن كثير، 138/13، دار الفكر، 1986؛ شذرات الذهب لابن العماد، 268/7، تاريخ الإسلام للذهبي، 78/14؛ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، 313/7، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

<sup>3</sup>- شذرات الذهب، لابن العماد، 268/7؛ تاريخ الإسلام للذهبي، 78/14.

<sup>4</sup>- طبقات الشافعية للسبكي، 338/8؛ معجم البلدان للحموي، 290/3؛ تاريخ الإسلام للذهبي، 78/14.

<sup>5</sup>- طبقات الشافعية، 338/8.

<sup>6</sup>- شذرات الذهب لابن العماد، 268/7؛ البداية والنهاية لابن كثير، 138/13؛ تاريخ الإسلام للذهبي، 78/14؛ معجم المؤلفين لعمر كحالة، 313/7؛ الأعلام للزركلي، 62/5.

• شيخ الشيوخ: كان يلقب بهذا اللقب الرئيسي الأعلى لمشيخة الطرق الصوفية لعلو علمه، وحسن إسلامه و ورعه<sup>(7)</sup>.

• شيخ الإسلام<sup>(8)</sup>: إنه كان يلقب بهذا الاسم لأنه كان يخدم الإسلام بعلمه و علمه، وزهده.

ولادته:

الشيخ السهروردي ولد في شهر رجب في سنة (539هـ) في مدينة سهرورد<sup>(9)</sup>، وقد ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان: "ومولده بسهرورد<sup>(10)</sup> في أواخر رجب أو أوائل شعبان، والشك منه"<sup>(11)</sup>.

وفاته:

توفي شيخ الشيوخ السهروردي في بغداد في أول ليلة من سنة 632هـ<sup>(12)</sup>. ودفن قريبًا من سور الرصافة من الجانب الشرقي من بغداد عند باب الظفيرة، أو ما يسمى عند أهل بغداد بالباب الوسطاني، وقد بني بجانب قبره جامع كبير، نسب إليه بعد ذلك، يقال عنه: جامع الشيخ عمر.

مؤلفاته:

وقد ترك الشيخ السهروردي الكثير من التراث التي تشهد له بالعلم والإمامة، بعضها رسائل وبعضها كتب مستقلة في الفنون المختلفة كما ذكرها إسماعيل البغدادي<sup>(13)</sup>، وإسماعيل باشا الباباني<sup>(14)</sup>، والحاجي الخليفة<sup>(15)</sup> فمنها: نغمة البيان في تفسير القرآن، و خاصةً "عوارف المعارف"، وهو كتاب معروف في علم التصوف.

المبحث الثاني: أثر "عوارف المعارف" على مكتوبات المجددية في شبه القارة الهندية

كتاب "عوارف المعارف" للسهروردي كان له تأثير عميق على الأدباء الصوفيين في شبه القارة الهندية، خاصة على مكتوبات المجددية. كانت المجددية، وهي حركة إصلاحية صوفية، تعتمد بشكل كبير على تعليمات وتوجيهات هذا الكتاب في ممارساتهم

7- الأعلام للزركلي، 62/5؛ ووفيات الأعيان لابن خلكان، 446/3.

8- سير أعلام النبلاء للذهبي، 373/22.

9- شذرات الذهب لابن العماد، 268/7؛ طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، المحقق: د. محمود محمد، الطناحي د. عبدالفتاح محمدالحلو، 339/8، الطبعة الثانية، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ؛ تاريخ الإسلام للذهبي، 78/14.

10- وهي مدينة إيرانية و مولد الشيخ شهاب الدين السهروردي يصل عدد سكانها إلى أكثر من 6318 نسمة. (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)

11- وفيات الأعيان لابن خلكان، 446/3.

12- وفيات الأعيان لابن خلكان، 446/3؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، 377/22.

13- هدية العارفين لإسماعيل بغداددي، 786/1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

14- إيضاح المكنون، 63/3، 199/3، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

15- كشف الظنون، 1177/2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941م.

وتعاليمهم. أثر "عوارف المعارف" يظهر بوضوح في الأعمال الأدبية والصوفية التي أنتجها أدياء هذه الحركة، مما يدل على مدى أهمية هذا الكتاب في نشر الفكر الصوفي وإصلاح المجتمع.

• الإمام الرباني الشيخ أحمد السرهندي (1034هـ):

هو الشيخ الأجل، إنه أخذ بيد العلم لما زلت به القدم. وهو: أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين، ولد بسرهند في سنة (971هـ)، وعن أبيه أخذ أكثر العلوم والطريقة الجشتية، فهو ارتحل إلى دهلي بعد وفاة أبيه، ثم جلس في سرهند على مسند الإرشاد، وأخذ في الدرس والإفادة، وكان يدرس في علوم مختلفة، وسعوا إلى جهانكير بن أكبر سلطان الهند، فأمر السلطان بحبسه في قلعة كواليار، ثم أخرجه السلطان من السجن بشرط أن يقيم في عسكره، ويدور معه، فأقام الشيخ في معسكره ثماني سنوات، وبعد وفاة السلطان رخصه ولده شاهجهان، فعاد إلى سرهند، وصرف عمره بالدرس والإفادة. وله مصنفات، و من تعليقاته: تعليقات على عوارف المعارف للسهروردي<sup>(16)</sup>.

المكتوبات للإمام الرباني:

إن مكتوبات المجدد ألف ثاني تشكلت من جواهر علمية وروحية كتبت باللغة الفارسية في القرن الحادي عشر. تم تسميتها بـ "دفاتر" حيث تجمعت في ثلاث دفاتر. تمت ترجمة هذه المكتوبات إلى اللغة الأردية لتعم الفائدة والفرحة بين أصحاب هذه اللغة، ولأن الكثيرين لا يتقنون اللغة الفارسية.

إنما تجد في هذه المكتوبات إشارات صريحة إلى "عوارف المعارف"، وتثبت أن شخصية المجدد ألف ثاني كان لها استفادة من هذا العمل. يظهر ذلك من ذكر المجدد ألف ثاني "عوارف المعارف" كهامش داخل نصوصه، حيث ذكر بعض عبارات الصوفيين السابقين في رسالته إلى القاضي إسماعيل فريد آبادي. على سبيل المثال، "يقول صاحب عوارف المعارف عن قول المنصور "أنا الحق" أو عن قول بايزيد بسطامي "سبحاني" كانا هذان قولان كحكاية<sup>(17)</sup>.

يقول في أحد مكتوبه الذي كتب إلى درويش حبيب خادم: إن ظهور خوارق العادة من أحد أولياء الله بالكثرة لا يدل فضيلته على سائره، وعلى موقفه هذا يقول: إن صاحب عوارف المعارف شيخ الشيوخ قام بتحقيق هذا المعنى في كتابه "عوارف المعارف" إذ ليست قلة ولا كثرة ظهور خوارق العادة (معجزات) لأنبياء الله مشروطة بالنبوة، ولا يدل على الفاضل والمفضل، فكيف تكون كرامات الأولياء سبباً للتفاضل في الولاية، إذ أنها ليست من شروط الولاية<sup>(18)</sup>.

وفي مكتوبه الذي أرسل إلى مولانا شيخ غلام محمد رقم مائة وسبعة عشر، يقول في ضمن بيان معنى هذه الآية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾<sup>(19)</sup>: إن الشيخ الجليل قدس سره العزيز في الباب الثاني لعوارف المعارف قال عن معنى هذه الآية<sup>(20)</sup>. ثم بعد ذلك ذكر من

<sup>16</sup> - نزهة الخواطر لعبد الحي الحسيني، 480/5.

<sup>17</sup> - مكتوبات إمام رباني، 493/2، مترجم شبير برادرز، لاهور، 2007م.

<sup>18</sup> - المرجع نفسه، 481/2.

<sup>19</sup> - سورة ق: الآية 37.

<sup>20</sup> - مكتوبات إمام رباني، 566/2.

العوارف أقوال الواسطي العديدة، ثم نقل الحديث في مكتوبه مائة وثمانية عشر من عوارف المعارف، و أوضحه هنالك<sup>(21)</sup>. وكذا في مكتوبه مائة و تسعة عشر ذكر بعض الأشياء من الباب التاسع لعوارف المعارف<sup>(22)</sup>.

في المكتوب مئتين وثلاثة وتسعين ، الذي كتب للإجابة عن استفسارات شيخ محمد خيري بخصوص قول الشيخ عبد القادر جيلاني (قديمي هذه على رقبة كل ولي الله أو جميع أولياء)، يُشرح فيه مفهوم عوارف المعارف كالتالي: "صاحب عوارف المعارف هو الذي كان تلميذاً للشيخ أبو النجيب السهروردي وترى واصطحب في مجتمعه. يُوضح هذا القول الكلمات التي تشمل وتُشير إلى الإعجاب بالقول السالف، وتبرز أهمية فهمه".<sup>(23)</sup>، ثم ذكر في المجلد الثاني هذه التذكرة مرة أخرى في مكتوبه مائة واحد وعشرين<sup>(24)</sup>.

يقول فيما يتعلق بالخوارق والكرامات في كتاب عوارف المعارف،: "قال شيخ الشيوخ عن هذه الخوارق والكرامات في عوارف المعارف: إن كل هذه الأمور هي من عطايا ومنح الله تعالى، حيث يمنحها لبعض الأفراد ويكرمهم بها بالعزة والشرف ويزيد بها عزتهم. وهناك بعض الأشخاص الذين يتفوقون على غيرهم في الفضيلة والمنزلة والمرتبة، ولكن الله تعالى لم يمنحهم نصيباً من هذه الكرامات<sup>(25)</sup>، في مكتوبه رقم تسعين الذي كتب إلى فقير هاشم كشمي، تحدث عن حقيقة مشاهدة القلب. واستفسر عن مدى صحة رؤية بعض الصوفيين المحققين لله ومشاهدته بعين القلب في الدنيا. وقال إن هؤلاء الصوفية يثبتون ذلك، كما ورد في كتاب "عوارف المعارف" للشيخ العارف: "موضع المشاهدة لبصر القلب"، وقال شيخ أبو إسحاق كلابازي قدس سره العزيز "أجمعوا على أنه لا يرى في الدنيا بالأبصار، ولا بالقلوب، إلا من جهة الإيقان"<sup>(26)</sup>

بعد ذلك، ذكر شيخ مجدد ألف ثاني موقفه من هذا الأمر. قد أخذ الشيخ مجدد ألف ثاني قول الشيخ أبو إسحاق كلابازي قدس سره العزيز في هذا السياق. ولكنه اعتبر صاحب "عوارف المعارف" من الصوفيين المحققين المثقفين، وأطلق عليه لقب "الشيخ العارف". وختم هذا المكتوب بالإشارة إلى أن تحليل هذه القضايا الدقيقة تمت كتابته وذكره في الكتاب الذي كتبه وألفه لتحليل بعض المقامات والأماكن والعبارات في "عوارف المعارف"<sup>(27)</sup>. وهكذا يوجد بعض اقتباسات وهوامش عوارف المعارف في كتاب الشيخ (المكاشفات).

21- المرجع نفسه، 569/2.

22- المرجع نفسه، 575/2.

23- المرجع نفسه، 715/1.

24- مکتوبات إمام رباني ، 585/2.

25- المرجع نفسه ، 717/1.

26- المرجع نفسه، 497/2.

27- المرجع نفسه، 499/2.

التأثر: بالتأكيد، يُذكر الشيخ المجدد مرارًا في مكتوباته عن عوارف المعارف. وقدم تذكرة صاحب المعارف بأعلى درجات الأدب والاحترام والعظمة، حتى في حال اختلف معه في بعض التعبيرات والأقوال في بعض الأماكن. ومع ذلك، يجب أن نفهم أن هذا لا يعني أنه قام بنقد شيخ السهروردي، بل اختلف معه بإحترام وتقدير كبير.

عندما أخذ المجدد العبارات والمسائل من عوارف المعارف وقام بتضمينها في مكتوباته باللغة العربية كأجزاء مستقلة، فهذا يُظهر تأثره العميق بعوارف المعارف وصاحبه. إذًا، كان يقرأ ويطلع أعمالهما بشكل مكثف، واستفاد كثيرًا من مفاهيمهما وفكرهما. يُظهر ذلك الاحترام والتقدير الذي أبداه الشيخ المجدد لمساهمات عوارف المعارف وصاحب المعارف في المجال الفكري والأدبي.

#### • خواجه محمد سعيد (1075هـ):

هو الخواجه محمد سعيد بن مجدد ألف الثاني أحمد السهرندي، كان عالماً، فاضلاً، ماهراً في علم الكلام والمناظرة، ويُعتبر خواجه محمد سعيد شخصية بارزة في الصوفية الهندية، حيث كتب العديد من الأعمال التي تناولت المواضيع الروحية والفلسفية، والذي كان من أبناء الإمام المجدد الثاني، والذي حصل على تعليم في علم المناظرة وكان يمتلك مهارات استثنائية فيه. كان يُعرف بقدرته على إخضاع المعارضين بفعالية. تلقى تعليمه في العلوم الظاهرية من شقيقه الكبير، خواجه محمد صادق، ومن الشيخ محمد طاهر لاهوري، الذي كان تلميذاً للإمام المجدد الثاني. كما تلقى تعليمًا من والده الكريم.

في سن السبعة عشر، تخرج وبدأ حياته الأكاديمية والتعليمية.

#### مكتوبات السعيدية:

مكتوبات الخواجه محمد سعيد في الأدب الفارسي وفي أدب التصوف تشكل ثروة كبيرة. تضم هذه المكتوبات ما يصل إلى 100 مؤلف، جُمعت تحت إشراف المولانا محمد فرخ. تلعب هذه المؤلفات دورًا بارزًا في تاريخ الأدب الصوفي، حيث تُعدُّ دراساتها وتحليلاتها جزءًا أساسيًا من الأدب الصوفي. تترك أثرًا عميقًا في مجال الأدب والتصوف، وتُسهم في الحفاظ على التراث التعليمي للخواجه محمد سعيد.

تمثل المكتوبات التي ألّفها وأرسلها الشيخ محمد سعيد موادًا تصحيحية وعلمية، نشرت عبر منصة الشهود باللغة الفارسية، وأُطلق عليها اسم "المكتوبات السعيدية". إنها رأس مال ثمين للأدب الفارسي وتطويره، حيث اعتمد الشيخ محمد سعيد بشكل أساسي على كتاب "عوارف المعارف" لشيخ شهاب الدين السهروردي كمصدر رئيسي ومرجع لأفكاره ومفاهيمه.

في مكتوب رقم ستة، الذي كُتب باسم عبد الصمد الأتكي، يُشير إلى آداب المرشد والمريد في سياق الإرشاد. ويقول الشيخ شيوخ العالم في العوارف أن الصوفي في البداية يُفني الخلق ويرى الأشياء من الله تعالى، حيث طالع ناصية التوحيد وخرق الحجاب الذي منع الخلق عن صرف التوحيد، فلا يثبت الخلق منعًا ولا عطاء، ويحجبه الحق عنه... الخ<sup>(28)</sup>. شيخ محمد سعيد يكتب في مكتوب

<sup>28</sup> - مكتوبات سعيديه، شيخ محمد سعيد ابن مجدد الف ثاني، ص8، مكتبة حكيم سيفي، لاهور.

نفسه عن التصوف، من الكتاب عوارف المعارف: "إنما ذكر في العوارف: قال بعضهم: التصوف أوله علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة"<sup>(29)</sup>.

في مکتوباته، حتّ الخواجه محمد سعيد تلاميذه على قراءة "عوارف المعارف"، مشيرًا إلى أهمية آداب المرشد، وخصوصًا السر في تحقيق المرتبة الشيخية وهو يقول: "والسر في وصول السالك إلى مرتبة المشيخة، إن السالك مأمور بسياسة النفس، لا يزال يُسالك النفس بصدق المعاملة حتى تطمئن نفسه، وبطمأنيتها ينتزع عنها البرودة واليبوسة، ولانت بحرارة روح،... إلى أن قال: فتقوم نفوس المريدين الطالبين والصادقين عنده مقام نفسه بوجود الجنسية وبوجود التأليف. وبما هيّا الله سبحانه من حيث التأليف بين صاحب والمصحب، يصير المريد جزء الشيخ، وتصير هذه الولادة أنفًا ولادةً معنويةً"<sup>(30)</sup>.

في مکتوب نفسه، يتحدث الشيخ محمد سعيد عن حقيقة الكرامات ويقول: "قال شيخ شيوخ الطريقة في العوارف: إن الله قد يفتح على بعض الصادقين من ذلك أي الكرامة<sup>(31)</sup> بابًا، والحكمة فيه أن يزداد يقينًا، فيقوي عزمه على الزهد. وقد يكون بعض عباده يكشف به بصرف اليقين، ويرفع عن قلبه الحجاب، ومن كوشف بصرف اليقين أغنى بذلك عن رؤية خوارق العادات، فكان هذا الثاني أتم استعدادًا وأهلية من الأول. انتهى"<sup>(32)</sup>.

المکتوب رقم ثلاثين كتبه خواجه درد خواجه عبد الله، وجاء ردًا على سؤال مطروح. في نهايته، يتناول موضوع التوحيد، مشيرًا إلى ما ورد في "عوارف المعارف": "واليه يشير كلام شيخ شيوخ العالم في العوارف"، وهو المرموز في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾<sup>(33)</sup> وقوله: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾<sup>(34)</sup> <sup>(35)</sup>.  
المکتوب رقم واحد وثلاثين بعنوان "من أفلاذ كبد" كتبه خواجه محمد باقى بالله، وخواجه عبد الله المعروف بخواجه خورد. يناقش فيه موضوعي البقاء والفناء. في نهايته، يوضح الفرق بين أهل السنة والاعتزال، مستدلًا بما ورد في "عوارف المعارف" وأقوال شيخ روزبهان بقلبي وشيخ شهاب الدين السهروردي وغيرهما ينبّه عليه تنبيهًا صريحًا"<sup>(36)</sup>.

29- المرجع نفسه ، ص 8.

30- المرجع نفسه، ص 11.

31- الكرامة: تطلق بمعنى ظهور أمر خارق للعادة على يد شخص ظاهر الصلاح غير مقارن لدعوى النبوة الرسالة، و بمعنى: الإعزاز والتفضيل والتشريف و إكرام الضيف. (الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، 1404-1427هـ، 216/34)

32- مکتوبات سعيديه، شيخ محمد سعيد ابن مجدد الف ثاني، ص 14.

33- سورة الكهف: الآية 110.

34- سورة إبراهيم: الآية 11.

35- مکتوبات سعيديه، شيخ محمد سعيد ابن مجدد الف ثاني، ص 56-57.

36- المرجع نفسه، ص 74.



التأثر: من البحث الكامل، يتضح أن شيخ خواجه محمد سعيد كان يطالع "عوارف المعارف" باهتمام كبير، مما أثر بشكل عميق وواضح على ذاته وتأليفاته وكتبه. نجد هذا التأثير في مختلف جوانب أعماله، حيث يعتبر "عوارف المعارف" مرجعاً رئيسياً. وفي نهاية كتاباته، يذكر "عوارف المعارف" كمصدر أساسي إلى جانب سائر الكتب الأخرى، مما يدل على أهميته في فكره وتعلمه<sup>(37)</sup>.

#### • الخواجه محمد معصوم (1079هـ):

الخواجه محمد معصوم (توفي عام 1079 هـ) كان أحد الشخصيات الصوفية البارزة في العالم الإسلامي خلال القرن الحادي عشر الهجري. ينتمي إلى الأسرة النقشبندية، وكان ابن الشيخ المجدد الفاروق السرهندي، المعروف بمجدد الألف الثاني، الشيخ أحمد السرهندي. اشتهر خواجه محمد معصوم بجهوده في نشر وتعزيز تعاليم الطريقة النقشبندية، حيث كتب العديد من الرسائل والأعمال التي تهدف إلى توجيه وإرشاد المريدين. كما لعب دوراً كبيراً في توسيع نطاق تأثير هذه الطريقة في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي. وتوفي بمدينة سرهند فدفن بها، وقبره مشهور ظاهر يزار<sup>(38)</sup>. له مكتوبات مهمة فهو:

#### المكتوبات المعصومية:

"المكتوبات المعصومية" هي مجموعة من الرسائل التي كتبها خواجه محمد معصوم، ابن الشيخ أحمد السرهندي، الذي يُعرف بمجدد الألف الثاني في التصوف الإسلامي. تغطي هذه الرسائل مواضيع متعددة تتعلق بالصوفية، والتصوف، والأخلاق، والسلوك الروحي، والتعليم الديني. الغرض من هذه الرسائل هو توجيه المريدين والمحبين للطريقة النقشبندية، وتقديم الإرشادات الروحية والدينية لهم.

تعتبر "المكتوبات المعصومية" مصدراً أساسياً لفهم ودراسة التصوف الإسلامي في شبه القارة، حيث تجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة. تتميز هذه الرسائل بأسلوبها الأدبي العميق والفلسفي، وتعكس مدى تأثير خواجه محمد معصوم في تطوير التصوف ونشره في فترة زمنية معينة. تساهم هذه الرسائل في تفسير النصوص الدينية ومعالجة القضايا الفقهية المعاصرة، وتُعد مورداً ثميناً للباحثين والمهتمين بالدراسات الصوفية والفلسفية الإسلامية<sup>(39)</sup>.

خواجه محمد عبيدالله قد دَوّن المجلد الأول لمكتوباته فإنه كان نجل خواجه محمد معصوم، ورتبها أيضاً بالمجلدات الثلاثة. وفي 1063هـ، و 1072هـ، و 1073هـ قد كمل ترتيبها. ولكن استمرّ عمل النقل بالأقلام حتى طبع مجلدها أولاً في 1302هـ من كان بور بالمطبع النظامي، ثم بعد ذلك قام بإشاعة هذه المجلدات الثلاثة جمعاً الدكتور غلام مصطفى خان في 1396هـ، ثم بعد ذلك حوّل هذه، سيد زوار حسين شاه إلى اللغة الأردية.

بعد مطالعة هذه المكتوبات يعلم أن على شخصية خواجه محمد معصوم كانت عليه أثرات واضحة لعوارف المعارف. إنه ذكر عوارف المعارف ككتاب مصدر في مقامات عديدة في المجلد الأول لمكتوباته و ملفوظاته. كما: أنه ردّ على الناس في مكتوبه رقم 29 الذين يزعمون الطريقة الصوفية بعداً عن الدين ومالوا إلى سائر المفاصد اعتباراً بلا سقاط العمل، يقول في مقام: إن في عوارف المعارف مكتوباً، لما سئل سهل قدس سره عن الشخص الذي يقول: إنني مثل الباب لا أحرّك إلا يُحرّكني، فأجابه: إن هذا القول لا يقول إلا شخصان الصديق أو الزنديق. لأن الصديق يقول هذا: بإقامة مبادئ الاعتقاد، ولرعاية حدود العبادة، ويشير إلى أن قيام الأشياء مع الله تعالى وأما زنديق وهو يقول هذا: اعتباراً أن كل شيء يقع من جانب الله، ويسقط ملامة عن ذاته، وينفي أركان الدين، ويزعم أنه حرّ

<sup>37</sup> - المرجع نفسه ، ص211.

<sup>38</sup> - نزهة الخواطر، 650/5.

<sup>39</sup> - مكتوبات معصومية مقدمة، 18/1.

من قيود الشريعة والإسلامية<sup>(40)</sup>. وفي هذا المكتوب يقول عن الملامتية مفصلاً بنقل عبارة من عوارف المعارف: ان الملامتية يلبسون ويكسبون لباس الصوفية كي ينسبون أنفسهم إلى الصوفية بينما ليس فهم شيء مثل الصوفية بل مبتلون بالغرور، ويقعون في الخطاء. يعتبرون أنفسهم بأنهم متوجهون إلى الله تعالى، والعمل بأحكام الشريعة الظاهرية سقطت عنهم، ويضيفونها إلى عامة الناس فهذا لأجل قصور فهمهم<sup>(41)</sup>. وكذا يقول في مكتوبه الخمسين في إجابة شيخ أسد الله أفغان الذي سئله أسئلة متعددة، هل خوارق أفضل أم المعارف؟ فقال الخواجه: إن شيخ الشيخ شهاب الدين سهروردي قدس سره يقول بعد ذكر خوارق والكرامات: أن رتبة هذه الخوارق والكرامات أدنى من درجة القلب الذي معمور بذكر الله تعالى<sup>(42)</sup>. وكذا يقول في مكتوب الرقم 22 الذي كتب إلى مولانا محمد صديق بشاور في إجابة عن أسئلته و شرح أحواله: شيخ الشيخ شهاب الدين قدس سره ذكر بعد الذكر عن الخوارق والكرامات: أن هذه كلها عناية الله تعالى، وهو عزوجل يعطيها بعض الناس في بعض الحين، وأحياناً لا يعطي الله بعض الناس أعلى منهم، ولذا هذه الخوارق والكرامات ليست مقياس الفضيلة ورفعة المنازل بعضهم على البعض. وبعد ذلك يكتب في مقام: أن هذه الخوارق والكرامات أحقر من ذكر الله تعالى، وأقل درجة عن ملكة الحضورية<sup>(43)</sup>. وهكذا مكتوب الرقم 182 في تشريع أحوال مرزا عبیدالله، يقول في مقام: شيخ الشيخ شهاب الدين السهروردي قال في عوارف المعارف بعد ذكر الكرامات والخوارق: في بعض الحين يكون الولي الصوفي أفضل من الصوفي الآخر رتبة ومقاماً ولكن لم يعط من الخوارق و الكرامات شيئاً<sup>(44)</sup>.

التأثير: مكتوبات الخواجه معصوم تكشف عن تأثير عميق لكتاب "عوارف المعارف" على شخصيته وأفكاره. يتبين أنه اعتمد بشكل كبير على هذا الكتاب كمصدر أساسي لتطوير وتفسير تصورات الروحانية والصوفية. "عوارف المعارف" تعد من أبرز الأعمال في الصوفية الإسلامية، حيث تناول مواضيع مثل الوحدانية الإلهية والتفكير الروحي. يظهر أن الخواجه معصوم استوحى من هذا الكتاب فهمه الخاص للعلاقة بين الإنسان والله والأبعاد الروحية للإيمان.

تتجلى آثار هذا التأثير في الأفكار والمفاهيم التي نقلها الخواجه معصوم في مكتوباته، مع الإشارة المتكررة إلى "عوارف المعارف" كمصدر رئيسي لهذه الأفكار. هذا التأثير يبرز كيف يمكن للكتب الروحية أن تؤثر بشكل عميق في تشكيل وتطوير أفكار الفلاسفة والعلماء، مما يعكس القدرة الفريدة للكتب على إلهام الأفراد وتوجيههم نحو فهم أعمق وأوسع للعالم الروحي والحياة.

#### خلاصة الكلام:

الدراسة التي تعرضت لتأثير كتاب "عوارف المعارف" على العلماء والفلاسفة العرب، خاصة في مجال الصوفية، تكشف عن أهمية هذا الكتاب ومكانته البارزة في الفكر الإسلامي. فقد بادر العلماء العرب بتأليف شروحات وتعليقات على "عوارف المعارف"، حيث استفادوا من مضامينه ونقلوا مفاهيمه في كتبهم عبر مختلف العصور. ولم تكن الصوفية في شبه القارة الهندية بعيدة عن هذا

40 - مكتوبات معصومية مكتوب 29، 99/1.

41 - المرجع نفسه، ص 105 و 106.

42 - المرجع نفسه، مكتوب 50، 146/1.

43 - المرجع نفسه، مكتوب رقم 122، 274/1.

44 - المرجع نفسه، 356/1.

الكتاب، بل استخدموه كمرجعية مهمة لتأكيد وقبول مفاهيمهم بشكل عام، مما أدى إلى إدخاله في أساس سلاسلهم وطرقهم الصوفية.

تأكيدًا على هذا التأثير، يُذكر الشيخ المجدد الذي أشار إلى "عوارف المعارف" في أعماله بانتظام، معبرًا عن احترامه العميق لصاحب المعارف ومساهماته. ورغم وجود بعض الاختلافات التي لاحظها، إلا أن ذلك لم يمنعه من التقدير والاحترام لمساهمات شيخ السهروردي وغيره في الفكر والأدب الصوفي.

أحد أبرز الأثرىء لكتاب "عوارف المعارف" كان على شخصية الخواجة معصوم، حيث أظهر استيعاباً واسعاً لمضامينه وفلسفته. كان الخواجة معصوم يقتبس العبارات والمفاهيم من الكتاب ويضمها في كتاباته باللغة العربية، مما يبرز تأثيره العميق بفكر ومفهوم "عوارف المعارف". كما يتجلى هذا التأثير في جوانب متعددة من أعماله، مع تصريحه بأهمية الكتاب كمصدر رئيسي في نهاية كتاباته، مما يشير إلى أنه كان أساساً أساسياً لفلسفته ومعرفته الروحانية.

مكتوبات الخواجة معصوم تكشف بوضوح عن تأثير "عوارف المعارف" على تطوير وتشكيل أفكاره وفلسفته. فهو استفاد بشكل كبير من هذا الكتاب في فهم العلاقة بين الإنسان والله والأبعاد الروحية للإيمان، مع التركيز على موضوعات مثل الوحدةانية الإلهية والتفكير الروحي. يتجلى هذا التأثير من خلال الأفكار والمفاهيم التي نقلها الخواجة معصوم في كتاباته، مع الإشارة المتكررة إلى "عوارف المعارف" كمصدر رئيسي لهذه الأفكار.

بشكل عام، يبرز هذا البحث كيف أن الكتب الروحية، مثل "عوارف المعارف"، لها قدرة فريدة على التأثير في الفلاسفة والعلماء، حيث تمثل مصدر إلهام وتوجيه لفهم أعمق وأوسع للحياة الروحية والعلاقة بين الإنسان والخالق. تكشف هذه الدراسة عن الأهمية الكبيرة لكتب الفكر الروحي في تشكيل وتطوير الفلسفات الفكرية للعلماء والمفكرين عبر العصور، مما يدعو إلى دراسات مستقبلية لفهم أعمق لتأثيرات هذه الكتب على الفكر الإسلامي والعالم الفكري بشكل عام.

في الختام، يمكن القول أن "عوارف المعارف" للسهروردي ليس مجرد كتاب، بل هو مرجع مهم أثر في العديد من الأدباء الصوفيين وساهم في نشر وتعميق الفكر الصوفي في الأوساط العلمية والدعوية، خاصة في شبه القارة الهندية. تعتبر دراسة حياة السهروردي وتأثير كتابه على الأدب الصوفي والمجددية خطوة مهمة لفهم تاريخ التصوف وأثره على الثقافة الإسلامية.